مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2021 المجلد:04 العدد: 02 عدد خاص ص.ص: 684-713

إنجازية الخطاب القصصي القرآني – سورة الكهف نموذجا–

The achievement of the qur'anic narrative discourse – surat al-khf as a model-

الحاج براهيمي ، جامعة الجلفة، (الجزائر)، Brahimi.elhadj@gmail.com

تاريخ إرسال المقال: 2021/04/30 تاريخ قبول المقال: 2021-10-10

الملخص:

حاولنا في هذه المقالة دراسة إنجازية الخطاب القصصي القرآني في سورة الكهف، من خلال البحث عن الأفعال الكلامية المتضمنة فيها، واستفدنا مما قدمه جون سيرل من تصنيفات تعد زبدة عمله في نظرية الأفعال الكلامية، ولكننا جعلنا النص القرآني طيلة مسيرة البحث حاكما لا محكوما عليه، وبالتالي فقد اكتشفنا أفعالا كلامية جديدة من خلال نصوص القرآن الكريم، واقترحنا بعض التعديلات على النظرية من خلال التحليل والمقاربة، كما تطرقنا ل تجليات الإنجازية في القصة القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الإنجازية، الأفعال الكلامية، الخطاب القصصي القرآني.

Abstract: In this article ,we tried to study the achievement of the Qur'anic narrative discourse in Surat al-Kahf ,by searching for the speech acts involved in it ,and we benefited from john searle's classifications that are the butter of his work in the theory of speech acts ,but we made the Qur'anic text throughout the course of the research the governor, and therefore we discovered new speech acts through the texts of the Qur'an ,and suggested some modifications to theory through analysis and approach ,as well as the manifestations of achievement in the Qur'anic story.

Key words : Illocutionary; Speech acts; qur'anic narrative discourse.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2021 المجلد:04 العدد: 02 عدد خاص ص.ص: 684-713

مقدمة:

إذا كانت الدراسات القرآنية قد استفادت من النظريات اللسانية غير التداولية، فإنها في مجال البحث التداولي مازالت تتطلب كثيرا من الجهد لاستخراج مكنونات هذا النص الإلهي المقدس، ومحاولة اكتشاف مستويات جديدة لإعجازه، وذلك من خلال تغطية الجوانب التداولية التي جاءت بها النظرية الحديثة، وتفعيل القراءات التراثية التي اهتمت بها، لإرساء دعائم تضاف إلى هذه النظرية، تنطلق من النص تحلله ولا تحاكمه، فيبقى النص القرآني مرجعا في كل ذلك. من هنا كان لزاما أن نبحث عن وسائل جديدة من شأنها تحسس الخطاب القرآني واستجلاء مكنوناته التداولية.

ولنبدأ بطرح أهم الإشكالات التي تثير البحث وتنيره:

1–إذا كانت القصة القرآنية قد درست وفق النظريات اللغوية اللسانية التي سبقت التداولية، أفلا يمكن استثمار التداولية في اكتشاف أبعاد جديدة فيها؟

2–كيف تبدو نظرية الأفعال الكلامية في الخطاب القصصي القرآني؟ وهل يمكن استجلاء تفاصيلها في هذا الخطاب؟

3–إذا كان لكل فعل كلامي إنجاز، فهل يمكن دراسة إنجازية القصة القرآنية ضمن ظاهرة الأفعال الكلامية؟

إن ميلنا إلى النص القرآني– بالرغم من أنه ليس بالأمر الهين خوض غمار القصص القرآني– مرجعه إلى عدة دوافع نلخصها تبعا لعناصر عنوان المقال:

1– أما النص القرآني فلأنه ليس مصدرا تشريعيا فحسب، بل هو مصدر منهجي وعلمي أيضا، وهو الدافع الأساس لأغلب المباحث اللغوية العربية في القرون الأولى بعد نزوله.

2– وأما الجانب القصصي، فلاحتلاله ثلث القرآن الكريم تقريبا من جهة، ولوظيفيته في بناء النص القرآني من جهة المقصديات، فهو يؤتى به وفقا لوظائف تداولية.

3– وأما الجانب الإنجازي، فلاعتقادنا بأن القصص القرآني ليس للتسلية والإمتاع فقط، بل يكتنفه جوانب اجتماعية ولسانية، أهمها ظاهرة الإنجازية.

ويعود اختيارنا لسورة الكهف، لأسباب كثيرة منها:

1– عظم فضلها بين سور القرآن الكريم.

2– غناها بالقصص القرآني، فقد احتوت على أربع قصص أساسية، والتي تكون عمدة في التطبيق في ثنايا هذا البحث.

لقد حاولنا هذه المقالة الاستفادة مما أنتجته النظرية الغربية في مجال الأفعال الكلامية، واعتمدنا أساسا على أعمال جون سيرل خاصة ما كان من تصنيفاته الخمسة التي تعد زبدة عمله في النظرية،

ولكننا مع ذلك لم نشر إلى الجانب النظري المتعلق بالنظرية لتشبع كثير من المقالات بها، وتوفر المادة العلمية في المراجع والكتب، فمقالتنا موجهة لقارئ ملم بما جاءت به النظرية الغربية، وأردنا بالتالي التركيز على الجانب التطبيقي، عسى أن نجد فائدة ولو بنزر يسير ضمن صرح الإنتاج العلمي والأكاديمي.

المبحث الأول: علاقة الخطاب القصصي القرآني بشروط نجاح الفعل الكلامي

إن المتبادر إلى أذهان كثير من الناس أن الخطاب القصصي القرآني إنما هو إخبار عن قصص خلت، فلا مجال للإنجاز فيه، ولكن سبرا لأغوار هذا الخطاب عن طريق استقصاء الأفعال الكلامية في سورة الكهف مثلا، ينبئ عن غير هذا الاعتقاد العاجل، وقبل الخوض في هذا، لابد من وقفة تتعلق بعلاقة هذا الخطاب ببعض المبادئ التداولية المؤسسة لنظرية الأفعال الكلامية، خاصة منها شروط نجاح الفعل الكلامي:

المطلب الأول: القصدية

إن من بين أهم شروط نجاح الفعل الكلامي أن تصحبه قصدية مناسبة، أي أن الفعل الكلامي فعل إرادي، ليس فعلا عبثيا، وبالتالي فهو ينطلق من قصدية مناسبة لسياق الحال الذي وجد فيه.

والخطاب القرآني عموما، يتمتع بهذه الصفة على الدوام، إذ إن المتكلم به وهو الله عز وجل، ولا يمكن أن تقترب منه صفة العشوائية، بله العبثية، فهو خطاب قصدي في كل آية وكل حرف، ولسنا بصدد إثبات ذلك، فقد كفتنا البحوث والدراسات الكثيرة المتعلقة بهذا، ولكننا بصدد إرساء دعائم الفعل الكلامي القرآني بتقرير هذه الحقائق حتى لا نتكلف عناء شرحها أثناء استكشاف الظاهرة في ثنايا الخطاب القرآني، وبالتالي فإننا نسطر قاعدة مفادها

إن كل فعل كلامي داخل الخطاب القرآني هو فعل قصدي نابع من قصدية القرآن ذاته.

المطلب الثاني: نمط الإنجاز

يعد هذا العنصر أساسا من الأسس التي بنى عليها جون سيرل J.Searl تصنيفه للأفعال المتضمنة في القول، وهو عنصر متعلق بالمتكلم بالدرجة الأولى وعلاقته بالمخاطب، وإذا كانت كذلك فإننا في الخطاب القصصي القرآني لن نتكبد عناء إثبات صفة العلو المتعلقة بهذا العنصر في المستوى الذي يكون فيه المتكلم هو الله سبحانه وتعالى، خاصة على مستوى صنف التوجيهيات، غير أننا يمكن أن نناقش –كما سيأتي – بعضا من الخطابات الصادرة عن شخصيات فاعلة في ثنايا القصص الواردة.

المطلب الثالث: شرط الصدق

يعد هذا الشرط أساسا من أسس سيرل في التصنيف، وقد وضعه ابتداء شرطا من شروط نجاح الفعل الكلامي، ومضمونه أن يقصد المتكلم أن يقوم بالفعل المتلفظ به، وأن يعتقد أن في مقدوره أن يقوم به[1] ، وهذا ما لا يمكن النظر فيه مع طبيعة الخطاب القرآني في مستواه الأول (أي أن يكون المتكلم هو الله جل جلاله) إذ قدرة الله مطلقة فوق كل قدرة وإرادته فوق كل إرادة.

وبالتالي فإننا ننطلق ابتداء بحكم مفاده التالي: إن الخطاب القرآني في مستواه الأول حيث يكون المتكلم هو الله سبحانه وتعالى، تتوفر فيه جميع الشروط المعدة لنجاح الفعل الكلامي.

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية في سورة الكهف

سنحاول تحت هذا العنوان استكشاف الأفعال الكلامية في الخطاب القصصي القرآني، وقد اخترنا سلفا سورة الكهف لذلك، ومن ثم تصنيفها حسب دراسة سيرل، غير أننا لن نكتفي بما قدمه سيرل، بل سنستفيد من وجهات النظر النقدية الموجهة للنظرية (ومن ثم التصنيف) في هذا الصدد، كما أننا سنجعل النص القرآني حاكما لا محكوما عليه، وبالتالي سنتوقع أن ينبئنا بأفكار جديدة في ثنايا التحليل.

المطلب الأول: إحصاء الأفعال في المدونة

أول خطوة قمنا بها هي إحصاء الأفعال داخل المدونة التي اخترناها، وهي سورة الكهف، وقد وجدناها فاقت الأربعمائة فعل، على مختلف الأزمنة والتصريفات التي جاءت فيها، ثم عمدنا إلى هذه الأفعال وحاولنا استخراج ما انتمى منها إلى طبقة الإنجازيات، فوجدناها تجاوزت الخمسين فعلا، وستتضح من خلال التصنيفات لاحقا، غير أننا لم نعتمد هذا الإحصاء كأساس وحيد للتصنيف للاعتبارات التالية

أولا: التفريق بين الفعل (Act) ولفظ الفعل (Verb)

ذلك أن مصطلح "لفظ الفعل" ترجمة لـ "Verb" ويراد به أحد أقسام الكلم، والمقابل للحرف والاسم في النحو، أما مصطلح "الفعل" فهو ترجمة لـ "Act" ويراد به الفعل الإنجازي الفردي أو الاجتماعي أو المؤسساتي: كإصدار الأوامر والوعود، وطرح الأسئلة وإبرام العقود والمعاهدات وغيرها.

بل إن أوستين نفسه كان واعيا بهذا الأمر فيقول: "ونحن لم نبحث حتى الآن سوى عدد قليل من الأمثلة الكلاسيكية للعبارات الإنشائية، ترجع كلها بالاستعمال إلى صيغ: أفعال Verbs دالة على

[1] Searle, Expression and meaning, Cambridge University Press, 1979,P62.

الحاضر، مبنية للفاعل المتكلم الفرد"[1]، بل يقر في موضع آخر بعدم صلاحية اعتبار هذه الصيغ معيارا للتمييز بين الجمل فيقول: " فأما صيغة الفعل مهما ادعينا بقاء بعض التأثير من جانب اللغة اللاتينية فلا تصلح علامة للتمييز ولا ضابطا" [2]

ثانيا:_الانطلاق من العبارات (أو الجمل) لا من الفعل

كان انطلاق أوستين في صياغة النظرية من انتقاده للفلاسفة الميتافيزيقيين والطبيعيين في عدم تمكنهم من "صياغة تصنيف للعبارات اللغوية ضمن فئات متمايزة" فبداية النظرية كانت من تحليل العبارات والجمل (أو القضايا بتعبير الفلاسفة) وليس من الفعل ذاته، ومن ثم يمكننا القول إن الحامل للفعل الإنجازي (أو الفعل المتضمن في القول) هو الجملة التي ورد فيها وليس لفظ الفعل وحده.

ثالثا: مراعاة السياق في تحديد الغرض المتضمن في الفعل

فالتداوليون المعاصرون لا يدرسون "الأفعال الكلامية مجردة عن سياقها الكلامي والحالي، أو معزولة عن غرض المتكلم، وإنما يدرسون إنجازية تلك الأفعال ولا يعتبرونها "أفعالا كلامية" إلا بشرط أن تتحقق هويتها الإنجازية في السياق عبر الاستعمال، ولا ينبغي لنا أن نغتر بكون المعاصرين يحاولون وضع لائحة للأفعال الكلامية دون ذكر أحيانا لسياقها الكلامي أو الحالي، فإنما المرجع النهائي لأولئك التداوليون في تحديد مجالها الدلالي والتداولي لن يكون إلا السياق الكلامي وسياق الحال و"قصدية" المتكلم، إذ هي من أكبر القرائن على فهم الغرض من الكلام ودلالته"[3]

ومن ثم وجب الوقوف على سياق الفعل حتى ندرك منه هويته الإنجازية، بداية بالغرض المتضمن في الفعل، وصولا إلى الصنف الذي ينتمي إليه بناء على ذلك.

رابعا: وجود أصناف أخرى للكلم حاملة للمضامين الإنجازية

أي أن الفعل الإنجازي لا يكون بالضرورة في صيغة فعل لغوي، بل يمكن صناعة أفعال إنجازية باستعمال أصناف أخرى للكلم، مثل حروف المعاني أو بجمل اسمية في سياق معين لا تحمل في ثناياها أي فعل لغوي.

---

[1] جون أوستن، نظرية الأفعال الكلامية العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ، ص71.

[2] المرجع نفسه، ص74.

[3] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر،ط1، 2008، ص78–79.

ومما نجده من ذلك في سورة الكهف المثال التالي:

براعة الاستهلال:

عرفه بعضهم فقال: " الاستهلال : الابتداء، يقال استهلت السماء، وذلك في أول مطرها، والاستهلال أن يبتدئ الشاعر أو الكاتب بما يدل على الغرض، ... وقال القارطاجني: " وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة، إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها، المتنزلة من القصيدة منزلة الوجه والغرةّ، تزيد النفس بحسنها ابتهاجا ونشاطا، لتلقى ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك، وربما غطت بحسنها على كثير من التخوم الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وليها" ... وقد تحدث عنه المطران جرمانوس، وسماه "براعة المطلع"، بينما سماه ابن حجة الحموي: "براعة الاستهلال""[1]

وقد جاء الاستهلال في سورة الكهف بالآية " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ..." الكهف01

فما هي القيمة الإنجازية لهذا الافتتاح، مع أنه لم يرد فيه فعل لغوي واضح على ذلك؟

ولنتطرق لرأي المفسرين أولا:

يقول ابن عاشور: " موقع الافتتاح بهذا التحميد كموقع الخطبة يفتتح بها الكلام في الغرض المهم"[2]

ويقول في موضع آخر: " الشأن في الخطاب بأمر مهم لم يسبق للمخاطب به خطابٌ من نوعه أنْ يُسْتأنَس له قبل إلقاء المقصود وأن يهيَّأَ لتلقيه ، وأن يشوق إلى سماع ذلك وتُراضَ نفسه على الاهتمام بالعمل به ليستعد للتلقي بالتخلي عن كل ما شأنُه أن يكون عائقاً عن الانتفاع بالهدى ... فكان افتتاح الكلام بالتحميد سنة الكتاب المجيد لكل بليغ مُجيد ، فلم يزل المسلمون من يومئذٍ يُلقِّبُون كل كلام نفيس لم يشتمل في طالعه على الحمد بالأبتر أخذاً من حديث أبي هريرة عن النبيء صلى الله عليه وسلم « كلُّ أَمْرٍ ذِي بال لا يُبْدَأ فيه بالحمدُ لله أو بالحمد فهو أقطع »[3] وقد لُقبت خطبة زياد ابن أبي سفيان التي خطبها بالبصرة بالبتراء لأنه لم يفتتحها بالحمد..."[4]

فرغم أن جملة "الحمد لله" جاءت في ظاهرها جملة خبرية، إلا أنها بهذه الصياغة أنجزت فعلين على الأقل:

[1] إنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص140–141

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، 246/15.

[3] أبو شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان بن أبي شيبة الكوفي، مصنف بن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1988، ج6 ، ص 263.

[4] التحرير والتنوير، 152/01–154.

- **فعل ضمني:** هو التمهيد كما ذكرنا في أقوال ابن عاشور.
- **فعل ظاهر:** إقرار الحمد والشكر لله تعالى.

ولسيبويه كلام عجيب في هذا إذ يقول: " باب يختار فيه أن تكون المصادر مبتدأة، مبنيا عليها ما بعدها وما أشبه المصادر من الأسماء والصفات وذلك قولك: الحمد لله، والعجب لك، والويل لك، والتراب لك، والخيبة لك. وإنما استحبوا الرفع فيه لأنه صار معرفة وهو خبر فقوى في الابتداء ... واعلم أن الحمد لله وإن ابتدأته ففيه معنى المنصوب، وهو بدل من اللفظ بقولك: أحمد الله" [1]

ونلاحظ في كلام سيبويه بعض ما جاء به أوستين، إذ يشترط أن يسند الفعل إلى ضمير المتكلم المفرد، وإذا لم يكن كذلك، فـ"يمكن ردها أو التصريح بالمتضمن فيها Expandible أو تحليلها على وجه آخر، أو تحويلها بتوليد صورة أخرى منها على النحو الآتي: عبارة ذات فعل مضارع للمتكلم المفرد المبني للفاعل (هذا كله على اصطلاح النحو) وهو ما كنا اعتبرناه شاهدا ومحكا على صحة استعمال الضابط فيما ذكرناه آنفا، وهكذا. فقولك "مطرود" يكافئ في المعنى "أصرح، أنطق، أعطي الأمر، أنادي عليه بالطرد ..." [2]

فكان سيبويه أسبق في التعليق على هذه الظاهرة من خلال تحليله لعبارة الاستهلال "الحمد لله" ونقلها من دائرة الإخبار إلى دائرة الإنشاء ومن ثم إلى الإنجاز.

المطلب الثاني: استكشاف الأفعال الكلامية في سورة الكهف

بما أن عرض سيرل هو العرض الرائج للنظرية في أيامنا، والصيغة النهائية لها عند المعاصرين، فإننا اخترنا الأصناف التي قدمها للأفعال الكلامية كأداة تصنيفية في عملنا هذا، دون إقصاء مجموعة الآراء النقدية التي وجهت له.

الفعل "قال" ومشتقاته:

قبل الخوض في التصنيف، نود الإشارة إلى نوع من الأفعال خاص هو الفعل "قال" ومشتقاته، واختبار مدى إنجازيته، أو مدى وجود القوة الإنجازية فيه، ونشير إلى الملاحظات التالية:

1– ورد هذا الفعل بقوة تواتر كبيرة في سورة الكهف (ورد مع مشتقاته أكثر من أربعين مرة) وهو وارد في أسلوب القصص القرآني عامة.

[1] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988، ج1 /ص328–329.

[2] أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص77.

2- لم يورد أوستين ولا سيرل هذا الفعل على لائحة الأفعال المنتمية إلى الإنجازيات عند عرضهما للتصنيفات التي اقترحاها، ولم يورد التداوليون والمعاصرون (فيما توفر لدينا من مراجع) هذا الفعل عند تقديمهم للتصنيفات البديلة المقترحة، إلا ما كان من الفيلسوف يورغن هابرماس ***Juergen-Habermas*** عند وضعه لصنف من الأصناف سماه (التواصليات Communicatifs) فأورد هذا الفعل (قال) ضمن هذا الصنف.

3- يتميز فعل "قال" أو صيغة المضارعة المسندة للمفرد المتكلم "أقول" عن باقي الأفعال باتخاذه موقعا خاصا في نظرية الأفعال الكلامية، إذ إن هذه الأفعال تنجز عن طريق القول، والفعل "أقول" إذا اعتبر منتميا إلى طبقة الإنجازيات فهو إنجاز لفعل القول ، وبالتالي فالفعل المتضمن فيه هو "**فعل القول المتضمن في القول**" ، ولكن في الحقيقة إن كل الجمل يمكن إعادة صياغتها بحيث تبدأ بالفعل "أقول" فنقول مثلا : أقول : آمرك بالجلوس، أو أقول: أعدك بالمجيء غدا، أو: أقول: عظم الله أجرك، أو غيرها، وحتى في فعل الأمر "قل" التابع لصنف التوجيهيات يمكن صياغته كالتالي: أقول: قل كذا أو كذا...

والآيات في سورة الكهف المتضمنة لهذا الفعل تتجه إلى هذا المنحى:

يقول تعالى: " ... إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ..."الكهف14

القوة الإنجازية في هذه الآية هي الإعلان، أي أن الفتية "..وقفوا بين يدي ملك الروم المشرك، أو وقفوا في مجامع قومهم خطباء معلنين فساد عقيدة الشرك.." [1] وبالتالي فإن الإنجاز يقع في العبارة التي بعد "قالوا" وصرف الفعل قالوا إلى الفعل الإنجازي "أعلنوا"

وفي قوله تعالى: " ... فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا..." الكهف 21 القوة الإنجازية في فعل الأمر "ابنوا"، وما فعل "قالوا" هنا إلا للحكاية.

وفي قوله تعالى على لسان صاحب الجنتين : " .. فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا " الكهف 34 ، القوة الإنجازية هي التقرير الذي غرضه الفخر والتطاول.

وفي قوله تعالى:".. قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً..." الكهف 35-36، القوة الإنجازية هنا هي تقرير النفي، الذي سببه الغرور، ...وهكذا في باقي السورة.

[1] التحرير والتنوير، 272/15.

وبالتالي فإن النتيجة المبدئية التي يمكن أن نخلص إليها أن الفعل "أقول" لا يحمل قوة إنجازية في ذاته، بل يعتبر ممهدا لفعل آخر يحمل قوة متضمنة فيه، وإذا صرح بهذا الفعل فربما حمل قوة إنجازية أخرى هي التوكيد، ولكنها تبقى قوة فرعية بالنسبة للقوة التي يحملها الفعل الذي يأتي بعده.

كما يمكننا أن نقول الكلام نفسه على أفعال مشابهة، مثل الفعل "أفعل" أو "أنجز" أو "أجعل" فهي أفعال لا تحمل في ثناياها أي قوة إنجازية رغم ما في ظاهرها من معاني الإنجاز والفعل والجعل، ولكنها **أوعية فارغة، ممهدة**، تمهد لأفعال حقيقية تتضمن قوى إنجازية.

ولنتجه الآن إلى الأصناف التي اقترحها سيرل للأفعال الكلامية، وكيفيات تواجدها في المدونة (سورة الكهف) :

أولا: التقريريات

ويكاد يكون الصنف الغالب في سورة الكهف، خاصة إذا أخذنا بقاعدة التحويل التي اقترحها أوستين في تحويل كثير من الصيغ الإخبارية حتى تأخذ شكلها الإنشائي (أو الإنجازي) أو بعبارة أخرى التفريق بين المحتوى القضوي الذي يبدو في ظاهره إخبارا في القصص والقوة الإنجازية التي يتضمنها هذا المحتوى.

ومن هذه التقريريات في سورة الكهف:

قوله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا ..." الكهف 07.

فهذا تقرير بجعل ما على الأرض زينة للأرض، وهذا "يجمع بين الامتنان على الناس والتذكير ببديع صنع الله"[1]

وفي هذا التقرير توافرت كل الشروط لنجاح الفعل الكلامي، أما الشرط المعد الذي تقوم عليه التقريريات فهو أن يكون للمتكلم أسباب أو أسس تدعم صدق المحتوى القضوي [2]، وهذا الشرط متحقق بداهة، فصاحب الخطاب هو الله جل جلاله، ولسنا في حاجة إلى إثبات امتلاك هذه الأسس لتأييد صحة المحتوى، فهي متوفرة توفرا مطلقا لا نسبيا، ولذلك يمكن التأكيد على قاعدة توفر كل هذه الشروط في هذا التصنيف في حال كان الخطاب صادرا من الله تعالى، أما اتجاه المطابقة فيها فهو من القول إلى العالم، والعالم هنا ثابت وهو زينة الأرض، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو الله، وهو خالق الأرض وهو الجاعل ما عليها زينة جل جلاه، وهو حق وقوله حق، ومناط تحقيق المطابقة هو المحتوى القضوي، أي

[1] نفسه 257/15.

[2] J.Searle & D.Vanderveken, Foundations of Illocutionary Logic, Cambridge University Press, 1985, P59.

"جعل ما على الأرض زينة من قبل الله"، وبالتالي فقد تظافرت كل الشروط لنجاح هذا الفعل الكلامي التقريري.

ويمكن أن نسير على نفس النهج لإثبات نجاح كل الأفعال التقريرية الواردة في السورة، ومن هذه الأفعال:

قوله تعالى: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ، إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى" الكهف 13 جمعت تقريرين في آية واحدة.

وقوله تعالى: "... ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا" الكهف 17 جمعت ثلاثة تقريريات

وقوله تعالى: " ... إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا..." الكهف 30

وقوله تعالى على لسان الرجل المؤمن صاحب صاحب الجنتين : " لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا" الكهف 38

وقوله تعالى: " وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا" الكهف 43

وقوله تعالى: " هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا" الكهف 44.

وهكذا لو سرنا مع كامل السورة لوجدناها ملئت تقريرا لحقائق ثابتة، خاصة في الخطاب الصادر من الله تعالى.

ولكن هل هناك تقريريات في السورة غير ناجحة في السورة، بحيث اختل فيها أحد شروط النجاح؟

في قصة صاحب الجنتين مثل هذا التقرير في الآية على لسان صاحب الجنتين:"...قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا" الكهف 35–36

رغم أن الحالة النفسية لصاحب الجنتين في هذا التقرير هي الاعتقاد، إذ بدأ كلامه بـ "ما أظن" أي ما أعتقد، ونفي الاعتقاد اعتقاد، إلا أن اختلال شرط توفر الأسس القانونية أو الأخلاقية لهذا الاعتقاد أفسد التقرير بالجملة، وذلك لسببين على الأقل:

- أن اتجاه المطابقة في التقرير كما نعلم هو من العالم إلى القول، والعالم المتحدث عنه هنا زمنه المستقبل[1]، (أو الغيب بالتعبير الشرعي)، وصاحب الجنتين لا يملك أن يعرف ما سيحدث به بعد لحظة، فضلا أن يقر بعدم فناء جنته، أو قيام الساعة.
- أن العالم (الذي سيقع في المستقبل) في أحد شقيه لم يتحقق بعدما أقره في البداية، وهو عدم فناء جنته،" وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ[2]عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا..."الكهف 42 ، وما دام العالم (الذي لابد أن يكون ثابتا في اتجاه المطابقة في التقريريات) لم يحصل وحصل ضده، فإن اتجاه المطابقة من القول إلى العالم لم ينجح كذلك، وبالتالي فإن فعل التقرير هنا فاشل بالجملة، لعدم تحقق شروطه.

في حين نجد أن الله يعبر عن تقرير لواقع مستقبلي، بأفعال ماضية في مواقع عديدة في القرآن، منها قوله تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا" الكهف 107. و"في الإتيان بـ"كانت" دلالة على أن استحقاقهم الجنات أمر مستقر من قبل مهيأ لهم"[3]، وعقب على هذا باسم الفاعل "خالدين" للدلالة على وجه المستقبل في ذلك، كما الدلالة على الاستمرار في الفعل، أو كما اسماها أوستين "الصيغة الاستمرارية الحالية"[4]

وفي الأخير نقول إن صنف التقريريات هو الصنف الغالب في الخطاب القصصي في سورة الكهف، ويبدو أنه يتوزع بين ثنايا القصص تارة والخطابات الحافة لها تارة أخرى.

ثانيا: الوعديات

جاءت سورة الكهف في تسع وعديات، أربعة منها صادرة من الله تعالى، والأخرى من شخصيات فاعلة في القصص، فأما الصادرة من الله تعالى فهي:

1- الوعديات الإلاهية:

أ/ قوله تعالى: "... وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا" الكهف 2

---

[1] قضية ارتباط الزمن بفكرة اتجاهات المطابقة لم تدرس دراسة علمية مستفيضة على حد علمنا، إذ إن الزمن في التقريريات عادة يكون هو الماضي، وفي الوعديات والتوجيهيات يكون الزمن هو المستقبل، وهكذا، ولكننا نجده هنا في التقريريات ويحتل زمن المستقبل، ونقترح أن يدرس ذلك ومدى تأثيره على النظرية في بحث مستقل.

[2] يمكننا الاستفادة من هذه الآية في قلب فكرة أوستين "كيف نفعل الأشياء بالكلمات" إلى فكرة "كيف نقول الكلمات بالأفعال" فهذه الحركة: تقليب الكفين، هي قول عن طريق فعل.

[3] التحرير والتنوير، 50/16.

[4] أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص72.

ورغم أن هذا الوعد جاء في سياق التعليل لإنزال الكتاب، فجاء على صيغة الإخبار، إلا أنه تضمن وعدا من الله تعالى لعباده المؤمنين بأن لهم أجرا حسنا، وارتكز الوعد على فعل البشارة "يبشر" ورغم أن الغرض الظاهر من الآية التعليل والتقرير، إلا أن الغرض المتضمن هو الوعد، وبالتالي فقد ألزم الله تعالى نفسه بالأجر الحسن للمؤمنين.

أما الشروط المعدة، فقد أطلقنا حكما عاما على الخطاب الصادر من الله بتوفرها فيه، والشرط العام هنا (أي في الوعديات) هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم به نفسه.

واتجاه المطابقة هنا هو من العالم إلى القول، فالعالم هو المتغير، خاصة وأنه تعلق بالزمن المستقبل، والقول هو الثابت وهو ما بشر به الله عباده المؤمنين.

والمتكفل بإحداث المطابقة هو المتكلم، وهو الله سبحانه وتعالى، فقد تكفل بالأجر الحسن في الآخرة لعباده المؤمنين.

ويمكننا من ثم إدراج الفعل "بشر" ضمن هذا الصنف باعتباره وعدا، شرط أن يكون المتكلم هو المسؤول عن إحداث المطابقة بين البشارة (القول) والمبشر عنه (العالم)

ب/ قوله تعالى : " وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا" الكهف 08

ويمكننا هنا تطبيق الإجراءات نفسها على هذه الآية، إذا خرجنا من كونها تقريرا إلى كونها وعدا، ذلك أن قوله "لجاعلون اسم فاعل مراد به المستقبل، أي سنجعل ما على الأرض كله معدوما " [1]

ومثل ذلك مع الوعديات الأخرى:

قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ..." الكهف 30-31

وقوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا" الكهف 107-108.

وبالتالي فإنه يمكننا القول إن الوعديات الصادرة من الله تعالى في القرآن هي تقريريات كذلك، ذلك أن الوعد في حق الله تعالى هو تقرير كذلك، فالوعد الصادر منه لا يخضع لإمكانية الحدوث، بل حادث لا محالة، وقد عبر الله تعالى عن كثير من الوعديات بصيغة الفعل الماضي، لأن الزمن في حقه تعالى ليس كالزمن في حقنا، وبالتالي تتداخل الوعديات مع التقريريات، ولا نخضع هذه لتلك

[1] التحرير والتنوير 258/15.

إلا بقدر ما نفهم الغرض المتضمن في تلك الأفعال، ونستطيع القول إن هذه الآيات، تقريريات في حق الله تعالى، ووعديات في حقنا نحن.

2– الوعديات البشرية:

ونجدها ضمن القصص الواردة، وهي صادرة من الشخصيات الفاعلة في كل قصة، وهي:

أ/ قوله تعالى " ... قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا" الكهف 21.

والغرض العام هنا هو الوعد ببناء المسجد، والشرط العام هو قدرة المتكلم على ما يلزم به نفسه، وهو متحقق هنا، فرغم اختلاف المفسرين في صاحب هذا القول، إلا أن أغلبهم مال إلى أنهم الولاة[1]، أي أصحاب الكلمة والنفوذ، و"يلائمه (لنتخذن) دون اتخذوا بصيغة الطلب المعبر عنها الطائفة الأولى فإن مثل هذا الفعل تنسبه الولاة إلى أنفسها"[2]

واتجاه المطابقة كما هو واضح من العالم إلى القول، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو الولاة أنفسهم، والحالة النفسية هي القصدية، إذ قصدوا بناء المسجد فعلا على اختلاف المفسرين في غرضهم من ذلك.

ملاحظة مهمة:

رغم توفر الشروط السابقة في الفعل الكلامي الوعدي (لنتخذن) إلا أننا نقف عند ملاحظة مهمة في الوعديات، بعد دراسة الآية السابقة، فإن هؤلاء الولاة عندما عبروا عن هذا الوعد بقولهم" لنتخذن عليهم مسجدا" فكأنهم كانوا في مناجاة بينهم وبين أنفسهم، وهذا يحيلنا على السؤال التالي: هل هناك فرق بين الوعديات التي فيها التزام أمام المخاطب والوعديات التي هي أشبه بالمناجاة؟

إن كثيرا من الأقوال تأتي على صيغة الوعديات، ولكنها تحفيز للنفس على فعل شيء ما، فغرضها كما قال سيرل في كتابيه الأول والثاني: إلزام المتكلم نفسه [أمام نفسه] بأداء فعل ما في المستقبل، وأما الوعديات التي فيها التزام أمام المخاطب فغرضها التزام المتكلم أمام المخاطب بأداء فعل ما في المستقبل، فذلك إلزام، وهذا التزام. وما دام قد اختلف الغرضان، فيمكن أن نقسم الوعديات إلى قسمين:

---

[1] انظر: التحرير والتنوير 290/15،

ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، بيروت لبنان، د.ط، د.ت 147/5.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد النمر وغيره، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997، 161/15.

[2] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1415 هـ، 224/8.

وعديات نفسية: غرضها إلزام المتكلم نفسه أمام نفسه بفعل ما في المستقبل

وعديات اجتماعية: غرضها التزام المتكلم أمام المخاطب بفعل ما في المستقبل.

ب/ يقول تعالى: " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا" الكهف60.

وهذا وعد شرطي، أي وعد مرتبط بشرط، والدلالة على الشرط هي "حتى" والإشكال هنا هو في اتجاه المطابقة، فالأصل في الوعديات أن يكون العالم (متغيرا) والقول (ثابتا) ويكون اتجاه المطابقة من العالم إلى القول، ولكن هنا وعد بالثبات على واقع أو حالة (عالم) هي السير، وارتبط هذا الوعد بشرط بلوغ مجمع البحرين، وقد يقول قائل أنه بإمكاننا تحويل هذا الوعد إلى صيغة "سأبلغ مجمع البحرين" ولكن الآية تحيلنا إلى نوع من الوعديات ليس الغرض منها إلزام المتكلم نفسه بأداء فعل في المستقبل، أي أن الفعل لم يكن موجودا ثم يوجده المتكلم في المستقبل حتى يطابق القول، ولكن الغرض منها البقاء على الحالة التي هو فيها (أو الثبات على الفعل الذي يقوم به) مقترنا بشرط ما في المستقبل أو غير مقترن، كأن يقول قائل:

- سأثبت على العهد ما دمت حيا.

فهذا وعد، والقصد منه إبقاء العالم على الحالة التي هو عليها حتى يطابق القول، ومن هنا لا مناص من اقتراح فرع جديد في الوعديات يمكن أن نسميه: **الوعديات الثباتية**، وغرضها العام هو الوعد، وغرضها الخاص إلزام المتكلم نفسه بالثبات على فعل ما في المستقبل، وتبقى الأسس الأخرى كما هي.

ج/ يقول تعالى على لسان موسى عليه السلام: " سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا" الكهف 69

يمكننا أن نحلل هذا الوعد مثل الوعود السابقة، ولكننا ننبه إلى ملاحظتين فيه:

1– أن صيغة الوعد التي ذكرت في هذه الآية "ستجدني إن شاء الله صابرا" أبلغ من صيغة الوعد البسيطة "سأصبر"[1] "ففي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان"[2]

2– السؤال الذي طرح من الكثير من المفسرين هو لماذا لم يصبر موسى عليه السلام؟ وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يرحم الله موسى،

[1] التحرير والتنوير 373/15.

[2] الألوسي، 314/8.

لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما"[1]، وقد اختلفت آراء المفسرين حيال ذلك على أقوال [2] (مع إثبات أنه لا يقال إن موسى عليه السلام أخلف وعده):

1– إن الوعد كالوعيد إنشاء لا يحتمل الصدق والكذب [وبناء على هذا فإن هناك خلط بين الخلف والكذب]

2– إنه مقيد بقيد يعلم من المقام، (كإن أردت، أو إن لم يمنع مانع شرعي، أو غيره)

3– إن ما صدر منه عليه السلام كان نسيانا في المرتين في الأخيرتين كما في المرة الأولى، ولا يضر مثل هذا الخلف بمقام النبوة لأن النسيان عذر.

4– إن لم يكن نسيانا في المرتين الأخيرتين (كما جاء في حديث البخاري: وكانت الأولى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمدا[3]) فإن الخلف في المرة الأولى معفو عنه، وحيث وقع لم تكن الأخيرتان خلفا (وفيه نظر)

4–وهو رأي القشيري: أن موسى عليه السلام وعد من نفسه بشيئين، بالصبر وقرنه بالمشيئة فصبر فيما كان من الخضر عليه السلام من الفعل، وبأن لا يعصيه فأطلق ولم يقرنه بالمشيئة فعصاه حيث قال: فلا تسألني، فكان يسأله، فما قرنه بالاستثناء لم يخلف فيه، وما أطلقه وقع فيه الخلف، وهذا الرأي مبني على أن العطف في "ولا أعصي لك أمرا" على "ستجدني" وهو خلاف الأولى، كما أن الأحاديث تواترت بأن موسى لم يصبر كما رأينا في حديث البخاري، والخضر قال له فيما بعد " سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" فثبت أن موسى لم يصبر.

5– أنه يبعد من حال موسى عليه السلام القطع بالصبر، وعدم عصيان الأمر بعد أن أشار له الخضر عليه السلام بأنه سيصدر منه أمور منكرة، مخالفة لقضية شريعته، فلا يبعد عنه اعتبار التعليق في الجملتين، ولم يأت به بعدهما بل وسطه بين مفعولي الوجدان من الجملة الأولى لمزيد الاعتناء بشأنه.

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ 35/1.

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (د.ت)1847/4.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمود شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975، 309/5.

[2] أنظر: الألوسي 314/8–315.

[3] البخاري 192/3 و 89/6.

ويبدو أن اختلاف العلماء هذا نابع من ظاهر تضارب إثبات العصمة لنبي الله موسى عليه السلام من جهة، وعدم الوفاء بالوعد من جهة أخرى، ويمكن لنا أن نستثمر ما جاء في نظرية أفعال الكلام كي نشرح هذا:

إن الخلط بين الشرط العام للوعديات الذي هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم به نفسه، والحالة النفسية لها وهي القصدية، ربما هو الذي أدى إلى الخوض في قضية خلف الوعد من جانب موسى عليه السلام، فالقصدية كانت متوفرة توافرا مطلقا من طرف موسى عليه السلام عند إعطائه الوعد بالصبر والطاعة للخضر عليه السلام، ولكن الشرط العام لم يكن متوفرا (كما جاء في الرأي السادس وهو رأي الألوسي نفسه)، وقد قال له الخضر فيما بعد "سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" فحدث الاختلاف بين القول والعالم، وهذا لا يسمى خلفا، **وإنما يرتبط الخلف بالقصدية ولا يرتبط بالقدرة.**

د/ يقول تعالى على لسان الخضر : "سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" الكهف 78

وهذا وعد من الخضر لموسى ببيان ما أشكل عليه من عمله، ولم يستطع عليه صبرا، والوعد جاء بناء على الفعل "سأنبئك" وهو وعد بعمل قولي وهو الإنباء أو الإخبار عن عمل ماض، ويمكن تحليلها وفقا لما جاء في المبادئ والأسس السيرلية.

هـ/ يقول تعالى: "... قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا" الكهف 83

وهنا التقى الوعد والأمر فتكاثف الإنجاز، غير أننا هنا لا نركز إلا على الوعد للسبب المنهجي من جهة، ولأن الفعل "قل" وعاء فراغ كما رأينا في تحليله، وللسين هنا عملين، الأول للدلالة على الوعد، والثاني "للتأكيد والدلالة على التحقق المناسب لتقدن تأييده صلى الله عليه وسلم وتصديقه بإنجاز وعده، أي لا أترك التلاوة البتة كما في قوله:

سأشكر عمرا إن تراخت منيتي *** أيادي لم تمنن وإن هي جلت

لا للدلالة على أن التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل، لأن هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه عليه الصلاة والسلام " [1]

ثالثا: التوجيهيات

ويمكننا أن نقسمها بحسب المتكلم بها، فهناك توجيهيات من الله، وتوجيهيات من غيره من البشر.

1- التوجيهيات الإلـهية:

ويمكن تقسيمها كذلك إلى أوامر ونواهي، باعتبار أن النهي جزء من التوجيهيات.

[1] الألوسي 351/8.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2021 المجلد:04 العدد: 02 عدد خاص ص.ص: 684-713

أ- **التوجيهيات الأوامر**

ونبدأ بنقاش حول فعل أمر تكرر أكثر من غيره في سورة الكهف، وهو الفعل "**قل**" وقد جاء هذا الفعل في القرآن كله 309 مرة (ومن العجب أن ذلك هو مدة لبث أصحاب الكهف) وفي سورة الكهف جاء ثمان مرات وهي كالتالي:

1- قوله تعالى: " .. قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ.." الكهف 22

2- قوله تعالى: " .. وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا" الكهف 24

3- قوله تعالى: " قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا .." الكهف 26

4- قوله تعالى: "وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .." الكهف 29

5- قوله تعالى: " .. قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا" الكهف 83

6- قوله تعالى: "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا" الكهف 103

7- قوله تعالى: "قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي.."الكهف109

8- قوله تعالى: " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ .." الكهف 110.

وكلها توجيهيات موجهة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو المخاطب بهذه الأوامر، وقد توافرت فيها كل الشروط المعدة، خاصة نمط الإنجاز، حيث المتكلم هو الله سبحانه وتعالى.

غير أن هذا الفعل يطرح إشكالا ظاهريا مفاده: أن الشرط العام للتوجيهيات هو التعبير عن فعل مستقبلي يقوم به المخاطب، فلما جاء الأمر "قل" للنبي صلى الله عليه وسلم أورده كما هو، ومثله ما ورد في المعوذتين "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ" الفلق 01، و "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ" الناس 01، فقد روي أن ابن مسعود رضي الله عنه كان ينكر كلمة "قل"، وأن قراءته كانت كذلك، وكان يستدل على صحة قراءته لهما التي أخذها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وسهو غيره في نقل "قل" بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يتعوذ بهما، والمتعوذ لا يناسب أن يأمر من يتعوذ به القول"[1]

وقد ورد حديث رواه البخاري في ذلك عن زر بن حبيش، قال سألت أبي بن كعب، قلت يا أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا، فقال أبي: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: "قيل لي فقلت"، قال: فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "[2]

[1] البقاعي، برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف ، الرياض، السعودية، ط1، 1987، 313/3.

[2] صحيح البخاري، 181/6.

وإثبات فعل الأمر "قل" هنا حكم ذكرها العلماء، نذكر منها:

1- أن فعل الأمر "قل" هو "قرآن"، و"إنما قيلتا مع أن المراد التعوذ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قالهما كما قالهما جبريل عليه السلام مطابقة لما قال الله تعالى، فيصير إثباتهما في غاية الدلالة على أنهما قرآن لا مطلق التعوذ.

2- النبي صلى الله عليه وسلم ليس له في القرآن إلا بلاغه، لا أنه هو أنشأه من قبل نفسه، بل هو المبلغ له عن الله، وقد قال الله له: " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ" فكان يقتضي البلاغ التام أن يقول " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ" كما قال الله، وهذا هو المعنى الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "قيل لي فقلت" أي إني لست مبتدئا بل أنا مبلغ، أقول كما يقال لي، وأبلغ كلام ربي كما أنزله إلي[1]

ولو تصورنا حذف فعل الأمر "قل"، فإن الآيات تصبح تعوذا محضا، وتفقد إنجازيتها، بخلاف بقاء فعل الأمر الذي هو موجه للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته من بعده، فكل من يقرأ القرآن سيكون الأمر موجها إليه، ولقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ بهما دون "قل" كما روى البيهقي في الشعب عن عقبة بن عامر قال: بينا أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين الجحفة والأبواء إذ غشينا ريح وظلمة شديدة، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بـ "أعوذ برب الفلق" و"أعوذ برب الناس" ويقول : يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما"[2] وهذا دليل على عمل النبي صلى الله عليه وسلم بفعل الأمر، على خلاف إثباته لفعل الأمر "قل" في القرآن المتلى إلى يوم الدين.

أما الآيات التي وجدناها في سورة الكهف، فالملاحظ فيها أن فعل الأمر "قل" إنما تكاثف في الخطابات الحافة للقصص ولم يأت داخلها، فالآيات الثلاث الأولى جاءت بعد قصة أصحاب الكهف مباشرة كتوجيهات للنبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع السائلين، والآيات الثلاث الأخيرة جاءت بعد سرد كل القصص كتوجيهات عامة لكل من قرأ هذه القصص واستفاد منها، وبقي الآية الوسيطة (الرابعة) والتي جاءت في صيغة الوعد "..قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا" فهي أمر بالوعد، وقد ذكرنا تحليلها في صنف الوعديات.

أما التوجيهيات الأخرى الواردة في سورة الكهف فهي:

---

[1] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج2، ص202-203.

[2] السيوطي، عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت) ج8، ص684.

1- قوله تعالى: " .. وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ.." الكهف 24

2- قوله تعالى: " وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ.." الكهف 27

3- قوله تعالى: " وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ.." الكهف 28

4- قوله تعالى: " وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ.." الكهف 32

5- قوله تعالى: " وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.." الكهف 45

6- قوله تعالى: " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ.." الكهف 50

والملاحظة نفسها تنطبق على هذه الآيات، فالآيات 1-2-3 جاءت في سياق الخطاب اللاحق لقصة أصحاب الكهف مع مثيلاتها السابقة، والآيتين 4-5 جاءتا تمهيدا لضرب مثل في القرآن، وجاء فعل أمر واحد ضمن أحداث قصة من القصص، وهي قصة إبليس وعدم سجوده لآدم، وهذا الأمر ليس موجها كسابقيه للنبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو للملائكة (ومعهم إبليس)، وللإمام الشنقيطي صاحب أضواء البيان كلام فيه إشارة إلى إنجازية فعل الأمر هنا إذ يقول: " اسجدوا لآدم، محتم لأن يكون أمرهم بذلك قبل وجود آدم أمرا معلقا على وجوده، ومحتمل لأنه أمرهم بذلك تنجيزا بعد وجود آدم... ولا ينافي في هذا أنه بعد وجود آدم جدد لهم الأمر بالسجود له تنجيزا"[1]

وقد استخرج العلماء من هذه القصة حكما عاما يتعلق بالأمر في القرآن، وهو أن الأمر يفيد الوجوب، وذلك من خلال تفسير آية أخرى جاءت في سورة الأعراف في قوله تعالى:" قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ.."الأعراف12 ، يقول الرازي:" احتج العلماء بهذه الآية على أن صيغة الأمر تفيد الوجوب"[2] ، وهذا الحكم طبعا على إطلاقه، فإن الأمر قد يفيد أمورا أخرى إذا ارتبط بقرينة تدل على ذلك، وقد جعل له الإمام الغزالي خمسة عشر وجها في المستصفى، وهذا بناء على صيغة "افعل" فقط، فيقول:" وإنما الخلاف في أن قوله: " افعل " هل يدل على الأمر بمجرد صيغته إذا تجرد عن القرائن؟ فإنه قد يطلق على أوجه، منها الوجوب كقوله: {أقم الصلاة} [الإسراء: 78] ، والندب، كقوله: {فكاتبوهم} [النور: 33] ، والإرشاد كقوله: {، واستشهدوا} [البقرة: 282] والإباحة كقوله {فاصطادوا} [المائدة: 2] ، والتأديب كقوله لابن عباس كل مما يليك، والامتنان كقوله: {وكلوا مما رزقكم الله} [المائدة: 88] ، والإكرام، كقوله: {ادخلوها بسلام آمنين} [الحجر: 46] ، والتهديد، كقوله: {اعملوا ما

[1] الشنقيطي، محمد الأمين ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار إحياء للتراث العربي، بيروت ، لبنان، ط1، 1996، 397/2.

[2] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان، ط3، 1420هـ ، 207/14.

شئتم} [فصلت: 40] ، والتسخير، كقوله: {كونوا قردة خاسئين} [البقرة: 65] ، والإهانة، كقوله: {ذق إنك أنت العزيز الكريم} [الدخان: 49] ، والتسوية، كقوله: {فاصبروا أو لا تصبروا} [الطور: 16] ، والإنذار، كقوله: {كلوا وتمتعوا} [المرسلات: 46] ، والدعاء كقوله: «اللهم اغفر لي» ، والتمني كقول الشاعر "ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي" ولكمال القدرة كقوله: {كن فيكون} [البقرة: 117]"[1] ، ولهذا القول علاقة بظاهرة تداولية أخرى اكتشفها سيرل، وهي ظاهرة الأفعال الكلامية غير المباشرة.

2- <u>التوجيهيات النواهي:</u>

اعتمدنا في النهي على صيغة "لا تفعل " كما جاء عند كثير من الأصوليين[2]، وقد جاءت خمس مرات في موضعين اثنين هما:

1- قوله تعالى: "..فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (22) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.." الكهف 22-23-24

2- قوله تعالى: " .. وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا " الكهف 28.

وهي توجيهيات نواه من الله تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد توافرت فيها شروط النجاح كلها، وصيغة النهي في التشريع لها سبعة أوجه (أو أفعال متضمنة في القول) كما أن للأمر خمسة عشر وجها عند الغزالي: " وأما صيغة النهي، وهو قوله: " لا تفعل. فقد تكون للتحريم وللكراهية، والتحقير كقوله: {ولا تمدن عينيك} [طه: 131] ولبيان العاقبة، كقوله: {ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون} [إبراهيم: 42] وللدعاء كقوله: «ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين» ولليأس كقوله: {لا تعتذروا اليوم} [التحريم: 7]"[3] وينطبق هنا ما قلناه على أوجه صيغة الأمر بارتباطها بظاهرة الأفعال الكلامية غير المباشرة.

<u>والملاحظة العامة للتوجيهيات الإلهية:</u>

[1] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى في علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1993، ص204.

[2] أنظر: المستصفى ، ص204.

الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 171/2.

[3] الغزالي، المستصفى، ص204.

أن الأوامر والنواهي الإلهية تكاثفت في مكان واحد، وهو الآيات من 22 إلى 29، وهي 12 أمر ونهي من مجموع 19 في السورة، وهي نسبة 63%، وقد جاءت هذه التوجيهيات بهذه الكثافة بعد قصة أصحاب الكهف، فلماذا تموقعت في هذا الموقع بالضبط؟

إن التفسير القريب لهذا، أن هذا الموقع جاء بعد قصة أصحاب الكهف، وهي أهم قصة ذكرت في السورة من بين القصص، وبها سميت السورة لمكانتها، فلا بد لما يأتي بعدها أن يناسبها المكانة، فكانت التوجيهيات الإلهية هي التي استحقت هذه المكانة، ونحن نعلم مكانة التوجيهيات الإلهية في النص القرآني عموما، إذ بها يرتبط التشريع كله، والتشريع ينطلق من الأمر والنهي، " مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ.." [1]، ومنهما تتفرع أحكام أخرى.

2/التوجيهيات البشرية:

1–التوجيهيات في صيغة الأمر:

وجاءت في ثلاثة عشر موضعا

1– قوله تعالى: " إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا " الكهف 10

2– قوله تعالى: " وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ.." الكهف 16

3– قوله تعالى: " .. فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ.." الكهف 19

4– قوله تعالى: " .. فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا.." الكهف 21

5– قوله تعالى: " فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا.." الكهف 62

6– قوله تعالى: " .. فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا.." الكهف 95–96.

والظاهر بداية أن الأوليتين في الآية الأولى صرفتا من الأمر إلى الدعاء، وهذا بناء على ما أسماه سيرل نمط الإنجاز Mode of achievement، ففعل الأمر هذا صادر من الفتية إلى الله مع قصد الدعاء والابتهال، وهذا كثير في القرآن.

أما الآية الثالثة: " .. فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ.." الكهف 19 فيمكن أن نلاحظ ما يلي:

[1] صحيح مسلم، 1830/4.

1- أنها لم تأت على صيغة "افعل" مثل سابقاتها، وإنما جاءت على صيغة "ليفعل" وقد اختلف النحويون في أصل فعل الأمر هل هو " افعل " أو ليفعل " ؟ فذهب قوم إلى أن الأصل " ليفعل " ؛ لأن الأمر معنى ، والأصل في المعاني أن تستفاد بالحروف كالنهي وغيره، وذهب الأكثرون إلى أن الأصل " افعل " ؛ لأنه يفيد المعنى بنفسه بلا واسطة بخلاف " ليفعل " فإنه يستفاد من اللام" [1]

2- اشتملت الآية على أربع توجيهيات متتالية، "فابتعوا" ، "فلينظر"، "فليأتكم"، "وليتلطف"، وكثافة التوجيهيات هنا تدل على الحالة النفسية التي كان يعيشها هؤلاء الفتية، وهي حالة الخوف والترقب، فبعد ثلاثمائة وتسع سنين بعثوا على الحالة النفسية التي ناموا عليها.

3- كل فعل من هذه الأفعال يحيل على رغبة خاصة به (إذ الحالة النفسية للتوجيهيات كما عبر عنها سيرل هي الرغبة)

أ. فالفعل "ابعثوا" يحيل على الرغبة في توكيل أحدهم

ب. والفعل "لينظر" يحيل على الرغبة في الحلال

ج. والفعل "ليأتكم" يحيل على الرغبة في سد الرمق والجوع.

د. والفعل "ليتلطف" يحيل على الرغبة في التخفي والكتمان.

ويمكن تطبيق الإجراءات نفسها على الآية الأخيرة مع ذي القرنين، مع ما يمتلكه من أسس تخوله إعطاء الأوامر، خاصة مع مجيء قوم ذي السدين وطلبهم منه أن يشيد لهم السد.

2-التوجيهيات في صيغة النهي:

وجاءت في خمسة مواضع:

1- قوله تعالى: " .. وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا " الكهف 19

2- قوله تعالى: " .. فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا " الكهف 70

3- قوله تعالى: " قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا " الكهف 73

4- قوله تعالى: " قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي.." الكهف 76

وفي ذلك نلاحظ ما يلي:

1- أما الموضع الأول فهو تابع للأوامر التي تكلمنا عنها سابقا، وهذا النهي "لا يشعرن" إنما هو تأكيد على رغبة التخفي التي ربطناها بفعل الأمر "وليتلطف"

[1] الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط1، 1994، 269/3.

2- النهي في الآية الثانية من الخضر هو نهي حقيقي غير مصروف إلى معنى آخر، توافرت فيه كل الشروط لنجاحه، إذ إن الخضر هنا في مكانة المعلم، وموسى في مكانة المتعلم، وهو الذي طلب التعليم، "وأكد النهي بحرف التوكيد تحقيقا لحصول أكمل أحوال المتعلم مع المعلم"[1]

3- التوجيهيات الصادرة عن موسى عليه السلام، في ظاهرها تأخذ شكل النواهي، ولكنها هنا في مقام الاعتذار، " والنهي مستعمل في التعطف والتماس عدم المؤاخذة ، لأنه قد يؤاخذه على النسيان مؤاخذةَ من لا يَصلح للمصاحبة لما ينشأ عن النسيان من خطر . فالحَزامة الاحتراز من صحبة من يطرأ عليه النسيان ، ولذلك بني كلام موسى على طلب عدم المؤاخذة بالنسيان ولم يبن على الاعتذار بالنسيان ، كأنه رأى نفسه محقوقاً بالمؤاخذة ، فكان كلاماً بديع النسيج في الاعتذار"[2]

والملاحظة العامة للتوجيهيات البشرية:

أنها جاءت بكثافة في ثلاثة مواضع:

1- عند بعث أصحاب الكهف، وبالضبط في الآية 19 حيث احتوت على أربع توجيهيات بشرية كاملة.

2- وفي قصة موسى والخضر، وقد تركزت في اعتذارات موسى عليه السلام.

3- وفي قصة ذي القرنين، حيث جاءت أربعة أوامر في آيتين متجاورتين.

والملاحظة العامة على التوجيهيات عموما:

أنها تركزت بشكل أساس في نهاية قصة أصحاب الكهف، والخطاب الذي جاء بعدها، أي من الآية 19 إلى الآية 29، فقد احتوت هذه العشر آيات على سبعة عشر (17) أمرية من مجموع خمسة وثلاثين (35) في السورة، أي بنسبة 48%، ولهذا دلالة على قيمة التوجيهيات لارتباطها بأهم القصص الواردة في السورة.

التوجيهيات النفسية:

تبعا لتقسيم الوعديات إلى نفسية واجتماعية، يمكننا اقتراح التقسيم نفسه للتوجيهيات، ولم نجد في السورة ما يدل على ذلك، إلا أنه يمكن أن نورد قصة من السيرة تدل على ذلك، وهي قصة عبد الله بن رواحة في غزوة مؤتة، أوردها ابن هشام كالتالي: " فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها ، وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... لتنزلن أو لتكرهنه

[1] التحرير والتنوير 373/15

[2] نفسه، 376/15.

إن أجلب الناس وشدوا الرنه ... مالي أراك تكرهين الجنه

قد طال ما قد كنت مطمئنه ... هل أنت إلا نطفة في شنه"[1]

فالأمر "لتنزلن" موجه إلى نفس ابن رواحة ذاته، قصد تحفيزها، أو إرغامها، كما جاء في النص السابق " فجعل يستنزل نفسه"

والتوجيهيات النفسية بهذا المعنى **غرضها حمل النفس على فعل ما في المستقبل.**

رابعا: الإيقاعيات

والغرض منها إحداث تغيير في العالم حتى يطابق المحتوى القضوي، ولم نجد لها مكانا في سورة الكهف.

خامسا: البوحيات

والغرض منها التعبير عن مشاعر حيال الواقع أو حيال الآخرين، ولم نجدها في السورة.

المطلب الثالث: الأفعال الكلامية النفسية

لما وجدنا أن بعض أصناف الأفعال المتضمنة في القول لها صنف نفسي وصنف اجتماعي (بوحيات نفسية واجتماعية، وعديات نفسية واجتماعية، توجيهيات نفسية واجتماعية) فيمكن أن نعمم هذه الفكرة على التقريريات (دون الإيقاعيات احترازا عن كون غرضها يتعلق بالعالم الخارجي وجوبا) فتكون التقريريات صنفان: تقريريات نفسية، وتقريريات اجتماعية.

والأفعال الكلامية النفسية يتبعها إنجاز نفسي، والفعل التأثيري فيها فيكون على مستوى النفس كذلك، ومن ثم نقترح ما يلي:

1- إثبات هذا النوع من الأفعال الكلامية ودراسته دراسة مستقلة.

2- دراسة علاقة الأفعال الكلامية النفسية بالبرمجة اللغوية العصبية NLP[2] وإمكانية استفادة كل منهما من الآخر.

المطلب الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى الصقا، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1955، 379/2.

[2] انظر: محمد التكريتي، آفاق بلا حدود، بحث في علم هندسة النفس الإنسانية، دار الخلدونية، الجزائر،2004، ص10، ويمكن الاستفادة من فصل :اللغة والكلام وفصل البلاغة والخطاب، من ص135 إلى ص174.

وهي ظاهرة من اكتشافات سيرل خلال عمله في نظرية الأفعال الكلامية، "ويراد بالأفعال الكلامية غير المباشرة، في اللسانيات التداولية وفلسفة اللغة العادية الأفعال الكلامية (التصرفات والمواقف: كاتخاذ القرارات، وإعطاء الوعود، وإبرام العقود والمعاهدات، وإبداء المشاعر، ..) التي تؤدى بعبارات لغوية صرفت عن معناها الأصلي إلى معنى آخر يفهم بقرائن أخرى سياقية وغير سياقية، كصرف الاستفهام إلى الإنكار أو الطلب، .. وهي ذات أشكال وتجليات متعددة"[1]

وقد أشرنا إلى هذه الظاهرة خلال دراستنا لأصناف الأفعال الكلامية في الخطاب القصصي القرآني، وأشرنا إلى أن الأمر قد ينصرف إلى خمسة عشر غرضا، بل إن بعضهم[2] صرفه إلى اثنان وثلاثين غرضا، وصرف الاستفهام إلى تسعة وثلاثين غرضا، وحتى الخبر صرفه إلى واحد وعشرين غرضا وهكذا ..

وسنحاول أن نحلل مثالا واحدا لهذه الظاهرة رغم تعددها في سورة الكهف، والمثال الذي اخترناه هو قول موسى عليه السلام للخضر: " .. قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا .." الكهف 71 ، فهذا القول كما رأينا في ظاهره استفهام، ولكنه صرف في حقيقته إنكار، أو بمصطلحات سيرل، فإن (الإنكار) هو الفعل الكلامي الابتدائي، و(الاستفهام) والفعل الكلامي الثانوي.

و"يعتقد سيرل أن بين الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة نقاط اتفاق هامة، تتمثل في كونهما تتوفر لهما معا أسس ومعايير القوى الإنجازية (شروط المحتوى القضوي، والغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة، وشرط الصراحة، ...) وأن من الفوارق الأساسية بينهما أن الأولى تشتمل على قوة إنجازية واحدة والثانية تشتمل على قوتين إنجازيتين"[3] وإسقاطا على مثالنا الذي اخترناه، فإن هذا الفعل الكلامي غير المباشر الذي قام به موسى عليه السلام يشتمل على قوتين إنجازيتين، الاستفهام والإنكار.

المبحث الثالث: إنجازية القصة القرآنية

تكلمنا عن إنجازية الفعل الكلامي في إطار العبارات أو الجمل، ولكن هل يمكن الحديث عن إنجازية للقصة القرآنية ككل؟

[1] مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر اللساني المعاصر والتراث اللغوي العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر، 2004، ص97.

[2] انظر: إنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، باب الأمر والخبر والاستفهام.

[3] صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول، ص97.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2021 المجلد:04 العدد: 02 عدد خاص ص.ص: 684-713

المطلب الأول: الفعل الكلامي النصي

إن دراسة من هذا النوع يمكن أن تندرج ضمن "الفعل الكلامي النصي" أو ما يعرف باللغة الأجنبية بـ Les macros speech acte ولكن ضمن نوع خاص من النصوص ألا وهو القصة القرآنية.

ويمكننا الانطلاق من نظرة فان دايك إلى النص على أساس "أنه متوالية من أفعال الكلام مثلما يحلل على أنه متوالية من الجمل، وأنه يمكن النظر إلى النص أنه فعل كلامي كبير من أفعال اللسان"[1]

ومن ثم يمكن النظر إلى القصة على أنها فعل كلامي كبير، متضمن لقوة إنجازية كبيرة، وحسب فان دايك من المستحسن الأخذ بجملة من الملاحظات المهمة لتحقيق أقصى فائدة مرجوة في تحليل النصوص من خلال أفعال الكلام وهي[2]:

1- من الأفضل أن يقتصر تحليل الأفعال الكلامية على النصوص التي تملك بالفعل السياق التداولي الحقيقي، ويرى آخرون أنه يمكن معالجة جميع النصوص معالجة تداولية، والتي ستكون تبشيرا بمستقبل جديد للدراسات الأدبية والنقدية.

2- من المعروف أن الفعل الإنجازي هو الذي يمثل قصد المتكلم، لذلك فإن تحليل الأفعال الكلامية لا بد أن يأخذ هذا الأمر في الحسبان.

3- يمكن في بعض النصوص الشفوية إدراج بعض الأفعال الماوراء لسانية، (التنبير، الإشارات، قسمات الوجه) في تحليل الأفعال الإنجازية.

ونقترح بالنسبة لتحليل إنجازية القصة الملاحظات التالية:

1- مراعاة خصائص القصة القرآنية إجمالا في التحليل.

2- مراعاة السياق الحالي والنصي للقصة المدروسة.

3- مراعاة غرض القصة، سواء صرح بذلك النص القرآني أم لم يصرح.

4- مراعاة الخطابات الحافة للقصة القرآنية، فالخطابات السابقة لها قد تعطينا نظرة عامة عن القصة، والخطابات اللاحقة هي كثير من الأحيان نتاج لإنجازية القصة.

5- مراعاة أحداث القصة وعلاقتها بسياق السورة العام.

---

[1] فان دايك ، النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء، المغرب ، 2000، ص231.

[2] انظر: قدور عمران، البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه لبني إسرائيل، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009، ص70.

المطلب الثاني: تجليات الإنجاز في القصة القرآنية

يمكننا كشف اللثام عن بعض تجليات هذه الإنجازية فيما يلي:

1- الإنجاز العاطفي، خاصة في جانب الإمتاع.

2- قد تنتج القصة أفعالا كلامية بناء على أحداثها أو غرضها، مثل ما جاء بعد قصة أصحاب الكهف، فقد رأينا كيف توالت الأفعال الكلامية في سلسلة من التوجيهيات التي تكاثفت في هذا الموضع.

3- إنجازية التقليد، أو الابتعاد عنه، وذلك في مجموع القصص التي تحوي شخصيات ذات أثر إيجابي فيتم الدعوة إلى تقليدها بطريقة غير مباشرة، أو العكس، أي شخصيات ذات عمل منبوذ فيتم الدعوة إلى الابتعاد عن نهجها وطريقتها، وقد يكون هذا الإنجاز أبلغ في الأثر من التوجيهيات المباشرة، وحتى غير المباشرة عن طريق اللغة.

4- إنجازية الفجوات، وهذا من خصائص القصص القرآني، إذ تكاد صفة وجود الفجوات سنة متبعة فيه، "ومثال على ذلك ما جاء في قصة موسى مع العبد الصالح، في سورة الكهف، عندما انطلق موسى مع فتاه " فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا" الكهف 65 وتمضي القصة لتصف مفاجآت متوالية، لا نعلم لها سرا، وموقفنا منها كموقف بطلها موسى عليه السلام، بل نحن لا نعرف من هو هذا الرجل الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة، ولا ينبئنا القرآن باسمه، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا، فاسم الرجل مجهول، والأحداث تبدو غامضة، فيكون الجو كله غامض مجهول، حتى يأخذ السر في التجلي فيعرف موسى تلك التصرفات الغريبة، ولكن الرجل يختفي ويمضي في المجهول كما خرج من المجهول، والغموض يشغل العقل الواعي بالتفكير في معرفة المجهول، فلا يستطيع هذا العقل الواعي– بسبب اشتغاله – تمحيص ما يصله من معلومات، فتنفذ هذه المعلومات إلى العقل الباطن لتستقر فيه، وتفعل فعلها في التأثير على العواطف والسلوك"[1].

الخاتمة:

ختاما لهذه المقالة نذكر بإيجاز أهم النتائج المتوصل إليها، والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- الخطاب القرآني الصادر من الله تعالى تتوفر فيه كل الشروط التحضيرية لنجاح الفعل الكلامي وبالتالي نجاح العملية التواصلية.

[1] التكريتي، آفاق بلا حدود، ص172.

- هناك أنواع من الأفعال لم تحظ بالدراسة الكافية فيما توفر لدينا من مراجع، وهي ما أطلقنا عليه مصطلح الأوعية الكلامية الفارغة، وهي لا تحمل قوة إنجازية في ذاتها، وإنما تعتبر ممهدات لأفعال كلامية أخرى.
- يتوزع صنف التقريريات على كامل أنحاء سورة الكهف، بينما تكاثفت التوجيهيات (الصريحة) في أماكن معينة، تركزت أساسا في نهاية قصة أصحاب الكهف، والآيات التي جاءت بعدها، ولهذا دلالة على قيمة التوجيهيات لارتباطها بأهم قصة من القصص الواردة في السورة، أما الوعديات فقد جاءت بنسبة ضعيفة مقارنة بسابقاتها، فالمجال مجال سرد قصصي أكثر منه وعد ووعيد، أما البوحيات والإيقاعيات فلم نجد لها مكانا في السورة، وبالتالي فإن كل صنف من أصناف الأفعال الكلامية تواجد بحسب الغرض الذي يصلح له في تناسق وانسجام.
- اقترحنا دراسة ارتباط قضية الزمن باتجاهات المطابقة.
- اقترحنا نوعا جديدا من الأفعال الكلامية أسميناه "**الأفعال الكلامية النفسية**" واقترحنا دراسته دراسة مستقلة.
- حاولنا تقصي إنجازية القصة القرآنية، وعلاقة ذلك بالفعل الكلامي النصي، ورأينا بعض تجليات هذه الإنجازية.
- تعد إنجازية الفجوات من أكثر مظاهر تجليات الإنجازية في القصة القرآنية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

المراجع العربية

1. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر،ط1، 2008.
2. إنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1996.
3. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
4. أبو شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان بن أبي شيبة الكوفي، مصنف بن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1988.
5. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988.

6. ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، بيروت لبنان، د.ط، د.ت.
7. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد النمر وغيره، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997.
8. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1415 هـ.
9. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
10. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله 9، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (د.ت)
11. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمود شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مشطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975.
12. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف ، الرياض، السعودية، ط1، 1987.
13. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
14. السيوطي، عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت).
15. الشنقيطي، محمد الأمين ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار إحياء للتراث العربي، بيروت ، لبنان، ط1، 1996.
16. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان، ط3، 1420هـ.

17. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى في علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1993.

18. الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

19. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط1، 1994.

20. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى الصقا، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1955.

21. محمد التكريتي، آفاق بلا حدود، بحث في علم هندسة النفس الإنسانية، دار الخلدونية، الجزائر،2004.

المراجع المترجمة

22. جون أوستن، نظرية الأفعال الكلامية العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991.

23. فان دايك ، النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء، المغرب ، 2000، ص231.

الرسائل والأطروحات

24. مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر اللساني المعاصر والتراث اللغوي العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر، 2004.

25. قدور عمران، البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه لبني إسرائيل، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009، ص70.

المراجع الأجنبية

26. J.Searle, Expression and meaning, Cambridge University Press, 1979.

27. J.Searle & D.Vanderveken, Foundations of Illocutionary Logic, Cambridge University Press, 1985.